الصباح الإسلامية
09
إعداد : ياسر السيد
العدد 2238 - السنة الثامنة
الخميس 28 شوال 1436 - الموافق 13 اغسطس 2015
Thursday 13 August 2015 - No.2238 - 8th Year

أول أمر قرآني نزل من السماء للمسلمين .. «اقــرأ»

أهميـة العلم . . في الإسـلام

يقول الله عز وجل في أول ما نزل: (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم) ففي هذه الآيات المحكمات أمر للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل فرد من أمته أن يقرأ ويتعلم أي علم يكون له ولغيره نفع في دينه ودنياه.

فمما لا شك فيه أن العلم له المكانة العالية في الإسلام ويكفي لتدليل على ذلك أن أول أمر نزل من أوامر القرآن وأول كلمة من كلماته قوله تعالى (اقرأ) فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن مكانة العلم في الإسلام لا تدانيها مكانة وقال الله أيضا في كتابه : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب » وقال عز من قائل « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وزيادة في بيان فضل العلم أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستزادة منه فقال سبحانه : « وقل رب زدني علما »

ولقد أوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانة العلم وفضيلة طلب العلم في حديث يدفع كل من قرأه بتدبر إلى المسارعة في طلب العلم وإفناء العمر في سبيل تحصيله فقال : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله تعالى به طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإنه يستغفر للعالم من في

■ المسارعة في طلب العلم وإفناء العمر في سبيل تحصيله طاعة

السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء و إن الأنبياء لم يورثوا دينار ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن اخذ به اخذ بحظ وافر » وقال الحسن : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم ، تعلموا العلم فإن تعلمه خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد ،وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس في الوحدة ، والصاحب في الخلوة ، والدليل على الدين والصبر على الضراء والسراء والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل الجنة ، يرفع الله به أقواما في الخير فيجعلهم سادة هداة يقتدى بهم ،أدلة في الخير تقتفى آثارهم وترمق أفعالهم ، وترغب الملائكة في خلتهم ،وبأجنحتها تمسحهم ،لأن العلم حياة القلوب ونور الأبصار ، به يبلغ الإنسان منازل الأبرار ، وبه يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد ، وبه يمجد وبه تواصل الأرحام ، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء..

هذا والدعوة في كتاب الله للقراءة تعتبر دعوة كما قال بعضهم دعوة إلى العلم ودعوة إلى المعرفة ودعوة إلى البحث والنظر ودعوة إلى الحق واليقين ومعنى ذالك أن الإسلام منذ اللحظة الأولى حض على العلم وأشاد بالمعرفة ، والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تدعوا إلى البحث والنظر ، واكتشاف نواميس الكون وكنوز الأرض ،يقول الحق جل وعلا «قل انظروا ماذا في السموات والأرض» « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشأ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير » .

هذا والعلم المشاد به لا يقتصر على العلوم الشرعية بل يشمل كل العلوم التي تحتاجها الأمة ، وقد اتفق الفقهاء على أن كل العلوم التي تفيد الأمة طلبها فرض كفاية بما في ذلك العلوم الشرعية ، وقصر فضل العلم على العلوم الشرعية دون سواها سبب أدى ويؤدي إلى تأخر الأمة عن ركب الحضارة والتقدم ، ولا يمكن للمسلمين أن يصيروا خير أمة أخرجت للناس كما قال بعض العلماء إلا إذا تفوقوا على سائر الأمم في اتجاهين وفي آن واحد معا:

الاتجاه الأول : هو الاتجاه القيمي الأخلاقي ، بمعنى أن يكونوا مثالا يحتذي في معاملاتهم وفي سلوكياتهم وما يتمسكون به ويدعون إليه من قيم رفيعة وأخلاق سامية .

الاتجاه الثاني : فيتمثل في تفوقهم في امتلاك أسباب القوة بمختلف أنواعها وأشكالها : القوة الاقتصادية والسياسة والفكرية والعسكرية والعلمية ، وهذا يعني أن يطورا وباستمرار معارفهم وعلومهم في شتى المجالات الآنف ذكرها ...

يقول الرسول صلى الله وعليه وسلم « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» وبالتأكيد لا يقصد عليه السلام ذلك المفهوم الضيق للقوة بل يقصد القوة بكل جوانبها وأشكالها ، القوة في البدن والروح والإرادة والعقل والعلم » .

ومما ينبغي معرفته أن أهم عامل يساعد عل التحصيل العلمي الجيد والنافع تقوى الله سبحانه قال تعالى قال تعالى :« واتقوا الله ويعلمكم الله » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم » . وقد قيل : لو كان العلم بلا تقى شرفا لكن أشرف المخلوقات إبليس.

وأعود فأقول عن العلم وفضله تأكيدا لما سبق : رحم الله الإمام عليا حين قال : « العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكوا بالإنفاق » .

■ الأمــة لا يمكن لها أن تنهض إلا بالعلم ولــن تتبوأ مكان الصدارة إلا به

وقيل لأبي عمر بن العلاء : « هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟ قال : إن كان يحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم » .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله في الإحياء : « إن الخاصية التي يتميز بها الإنسان عن البهائم هي العلم فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه ، فإن الجمل أقوى منه ولا بعظمته فإن الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فإن السبع أشجع منه ولا بأكله فإن الثور أوسع بطنا منه ولا بجماعه فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم . » .

هذا هو الإسلام في حثه على العلم وطلبه وتعليمه والعمل به وبيان مكانة أهله : وبعدا لمن يرى الإسلام دين تخلف وخرافات وما ذكرت لكم في شان العلم والحث عليه وبيان حكم الإسلام من العلوم الإنسانية قليل من كثير، وغرفة من بحر ، وغيض من فيض وما أجمل قول القائل :يقولون في الإسلام ظلما بانه يصد بنيه عن طريق التعلم

فإن كان ذا حقا فكيف تقدمت أوائله في عهده المتقدم

الرسول صلى الله عليه وسلم معلماً

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب الحق والعدل ويحكم به ، لا تأخذه في الحق لومة لائم ، فما كان يجامل احدا لجاهه أو ماله أو نسبه ، بل كان الضعيف قويًا عنده حتى يأخذ له حقه وكان القويّ ضعيفا عنده حتى يسترجع منه حق غيره

رجل علم وحضارة وأوّل كلمة نزّلت عليه في كتابه المقدس (القرآن) هي الأمر بالقراءة (اقرأ) .أخرج امته

من الجهل والتخلف والظلم والعدوان إلى العلم والرقيّ.المعلم الاول لكل البشرية حيث قال صلى الله علية واله وسلم((إنما بعثت معلما))

وقد اكدها الله هذه المهمة الكبيرة بقوله تعالى((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)). وفيها تعددت مهام الرسول لكنها المنطلق الأول لكل عمل خير . ووتمكن صلى الله علية وسلم تشكيل امة جديدة قائمة على اساس العدل والمساواة واحاكم الشريعة التي جات لنصرة الحق ورد الظلم وتكريم بني آدم .شخصية نبي الامة وسيرته الكريمة لا تحتويها كلمات أو جمل او شعارات أو مقالات .هي سيرة رسالة سماوية سمحاء وشخصية تقف امامها الكلمات والعبارات عاجزة عن الوصف .

استطاع الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم) أن يرعى ويحفظ ويضمن ويطبق الحقوق المشروعة،لكل المجتمعات الإنسانية وضعها وطبقها على ارض الواقع ولم تكن مجرد شعارات .وسيرته النبوية الشريفة تشهد له بهذا وكيف حافظ على حقوق النساء والإطفال وكبار السن والاسرى وحتى في الحروب كان الراعي الاول للحقوق الإنسانية .قاد حملة القضاء على التفرقة بين طبقات المجتمع وكذالك من حيث العرق والجنس والتي اوجدتها الجاهلية . وفي الوقت الذي كانت المراة عار في نظر بعض المجتمعات وينظرون لها نظره جاهلية

غرائزية بحته تصل الى درجة دفنها في التراب وهي حية خوفا من العار او من الفقر ،يمنحها الرسول الإعظم

حقوقها الشرعية والقانونية كاملة والمساواة في الكرامة والإنسانية مع الرجل .هاهو القران الكريم يخاطبها بالتساوي مع الرجل .في الواجبات والحقوق والتكاليف الشرعية والثواب والعقاب حيث يقول عز وجل بكتابة

العزيز ،مخاطبا الذكر والإنثى ﴿((وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ)) .رسالة سماوية دينية شرعية حقوقية بعث الله فية نبية الكريم لمجملها ويوصلها لكل البشر ويامر الجميع بالالتزام بها.لان فيها صلاح المجتمع وخاطب البشر فيها على اساس ادميتهم وانسانيتهم .لا على

اساس التميز بين الجنسين ،وهو برسالة الإسلام ايضا قاوم ورفع شعار إلغاء كافة اشكال العنف ضد المراة (العنف الأسري، الجسدي، الجنسي) وارجاع مكانتها في المجتمع وحفظ لها كرامتها .قال رسول الرحم ص

(استوصو بالنساء خير) وقوله صلى الله علية وسلم (رفقا بالقوارير) وقال نبي. الرحمة صلوات الله علية وسلم

))إنما النساء شقائق الرجال، ما أكرمهن إلا كريم، وما اهانهن إلا لئيم ((وكذلك فعل مع الاطفال والطفولة

بما كفلته له الشريعة الإسلامية من حقوق تحمية وتحافظ علية وتنمية .والابتعاد عن اساليب العنف في التربية

ونحن هنا نتحدث عن كل البشر من كلا الجنسين وفي مختلف المراحل سواء (ذكر ، انثى) او (طفل ، اوشباب او كبير السن) او كانو (زوج ،زوجة ،اخ ، اخت ، ام ،اب) مع كل الطبقات الاجتماعية والانسانية وكل مراحلها .حمل الرسول الاعظم شعار نشر حقوق الإنسان والعمل بها التي توثقت بكتاب الله العزيز العظيم .

والرسول الاعظم كان الاول في كل شي فية ضمان حقوق الناس والتعايش بسلام واحقاق الحق ومحاربة الظلم

والقضاء على قوانين الجاهلية التي احلت انتهاك حقوق الاخرين بحجة قانون الغاب (البقاء للاقوى او الاغنى) ويدعو دائما الى التعايش السلمي مع بعض وكل المسلمين اخوة ولا فرق بين عربي واعجمي الا بالتقوى ويقف ضد كل من يثير الطائفية والعنصرية .والتعايش الذي دعا اليه مع اليهود كان تعايش سلمي يدل على حب

وتشجيع الإسلام الى السلام وحقن الدماء واحترام حقوق الاخرين واولها واهما حق الحياة او العيش

وكذلك الغى نظام الرق وتحرير العبيد .

وان اهم شي اكد علية الرسول في رسالته السماوية عند بناء الدولة كانت (على اساس المساواة في الحقوق والالتزامات بين افراد المجتمع واساس هذه المساواة هو ان الناس كلهم متساوون في اصل الخلق والتكوين فكلهم مخلوقون من معدن واحد وهو التراب. قال تعالى في كتابة الكريم (((ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون)) صدق الله العلي العظيم

يتضح لنا وبكل دقة ان الاسلام ورسالته السماوية التي انتشرت على يد الرسول الاعظم وخلال سيرة نبينا الكريم واعماله وما قام به من خلال سيرته النقالية الجهادية العطرة والعادلة بحق البشرية وفي تكوين الدولة

الاسلامية ونشر الاسلام .هو الراعي والحامي والدافع عن حقوق الإنسان وهو القدوة والمعلم الاول لكل من ينادي بحقوق الانسان والدفاع عنها والتي وثقها وحافظ عليها وحمها الإسلام بكتاب الله العظيم بايانه وسورة واجزاءة الثلاثون . قبل الاف السنين .قبل اي من المواثيق الدولية بحقوق الإنسان والتي تصادف بان تكون بنودها ثلاثون بند .... نعم بابي انت وامي يا رسول الله . مدحك الله العلي العظيم بجانبك الاتساني الذي يخلق ذلك التكامل في انسانية الإنسان .وصدق الله العزيز الكريم عندما قال (((وإنك لعلى خلق عظيم)) وهي اهم شي واثقل الاعمال واثقل

الطاعات واهما في الشريعة الاسلامية مع التقوى . نعم انت بحسن خلقك وتقواك وحبك لله واطاعتة وحبك للخير والسلام لكل البشر استطعت ان تنشر وتحمي وتدافع عن حقوق الانسان .

اتساع الكون واتزانه دليل قاطع على عظمة الخالق

« إنا كل شيء خلقناه بقدر»

بالرغم من حجم الكون الكبير فإن كتلته يجب أن تكون موزونه بدقه لكي تتوفر الحياة به. لم يكن معروفا بدقه حجم الكون الفعلي إلى أن قام علماء الفضاء بتوجيه تيليسكوب هابل إلى قطعه من السماء لا تفوق مساحة عشر قطر القمر المرئي من الأرض ، وتوجيهه عليها لمدة 278 ساعه متواصله. بهذه الطريقه حصل العلماء على صوره لكل المجرات الموجوده في تلك البقعه الصغيره من السماء.

تبين من الدراسه بأن ذلك الحقل يحتوي على ما يقارب 10 آلاف مجره. وهكذا تمكن العلماء من حساب عدد المجرات في الكون المرئي وقدروه بمقدار لا يقل عن 200 بليون مجره (البليون يساوي ألف مليون). كذلك تحتوي كل مجره من هذه المجرات على ما يقارب 200 بليون نجم. بحساب بسيط نجد بأن العدد الكلي للنجوم في كل هذه المجرات يصل إلى 40 بليون تريليون (الترليون يساوي مليون مليون). الرقم الكبير بصوره أخرى يعادل 40 ألف مليون مليون مليون نجم. بالإضافة إلى ذلك فهنالك ما يقارب 10 بليون تريليون نجم في المجرات الصغيره (التي لا تكاد أن ترى). فيصبح العدد الإجمالي 50 بليون ترليون نجم في الكون المرئي.

هذا العدد يشهد على كون كبير لدرجه لا يمكن تصورها. ذلك بالإضافه للحقيقه بأن كتلة الكون الفعليه تفوق هذا كله. كتلة النجوم الكليه (مع النجوم المنطفئه) تساوي واحد بالمئه فقط من كتلة الكون الكُليه!

احد الأسباب لكون الكون كبير بهذا الشكل هو لتوفير فرصة الحياه على كوكب الأرض مثلاً. كل المواد التي تحيط بنا من طعام أو هواء أو ماء وغيرها من المواد تتكون من مركبات كيميائيه أو عناصر أساسيه ، وتلك العناصر تتركب من بروتونات ، نيترونات وإلكترونات. كثافة البروتونات والنيوترونات تحدد كمية الهيدروجين التي يمكنها أن تدمج لتكوين عناصر أثقل من الهيدروجين (فالهيدروجين هو أخف عنصر في الكون). بكثافه أقل (أي مقدار يقل عن 50 بليون ترليون نجم)، الدمج النووي لن يكون فعالاً ولن يُنتج أي عنصر أثقل من الهيليوم (وهو الغاز الخفيف الذي يتم تعبئة البالونات به). ولو كانت الكثافه أكبر (أي بمقدار يزيد عن 50 بليون ترليون نجم) ، لكان الدمج النووي فعالاً لدرجه كبيره لا تتيح وجود عناصر أخف من الحديد. أي حاله من هاتين الحالتين لن تتيح وجود عناصر أساسيه للحياة (كالكربون ، النيتروجين ، الأوكسجين وغيرها..).

سبب آخر لضخامة الكون يتعلق بالحقيقه العلميه بأن الكتله تؤثر على سرعة إتساع الكون. لو كانت كثافة المادة أقل لكانت قوة الجاذبيه ضعيفه لدرجه لا تتيح تكوين نجوم كالشمس أو كواكب كالأرض. من ناحيه أخرى ، لو كانت الكثافه أكبر مما هي عليه ، لتواجد فقط نجوم أكبر بكثير من الشمس. في كلتا الحالتين لما تواجد نجوم كالشمس أو كواكب كالأرض ولكانت الحياه كما نعرفها غير ممكنه أو متواجده. درجة الدقه في الخلق كبيره جداً (بدرجة جزء واحد من الـ 10 للقوه 60 ، أي جزء واحد من كوادرليون كوادرليون كوادرليون كوادرليون). بكلمات أخرى لو أن أي مقدار ضئيل من الكتله أضيف أو أنقص من هذا الكون ، لفقد وأختل التوازن به ولإنعدمت أي فرصه للحياة فيه. هذا الإتقان الرهيب يؤشر إلى صنع خالق فائق الذكاء والقدره.

وفي هذا السياق نتذكر الآيات الكريمه:

«إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ»

﴿سورة القمر ، الآيه ٤٩﴾

وهذه الآيه التي ترتبط بشكل مباشر مع محتوى المقال حيث يظهر بأن الكون بكافة ضخامته خُلق وسُخّر من أجل إتاحة الحياه على ظهر الأرض ، يقول الله تعالى:

«أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ»

﴿سورة لقمان ، الآيه ٢٠﴾